الفصل السادس

تابع أخبار الحوادث التي جرت في عهد البطريرك إسطفان

١٦٨٣-١٧٠٣

إن اضطراب الأحوال وجور حكام الجبة الحماديين على ما سبق لنا الكلام جمل البطريرك إسطفان على الانتقال من قنوبين إلى كسروان لرابع مرة من حبريته. ولم نطلع على موضوع الخلاف بينه وبين آل حماده[١] لكن ما نعلمه من اناة البطريرك وصبره على النوائب يسوغ لنا أن نقول أنه اقتضى لفراره من الجبة وهجر كرسيه المحبوب جورًا لا يطاق. وكان خروجه من الجبة وقدومه إلى كسروان في وسط الشتاء في إبان المرافع. وفي أثناء إقامته في دير مار شليطا توفي المطران بطرس بن القس ابرهيم الإهدني[٢] وكان في زيارة الرعية في قرية البهلولية وهي إلى شمال مدينة اللاذقية. وفي اليوم السادس من حزيران يوم عيد العنصرة أقام البطريرك خلفًا له على كرسي صيدا القس يوسف بن القس سليمان مبارك من قرية بطحا في كسروان. ويوسف المذكور كان ترهب مع والده وإخوته في دير مار سركيس ريفون في أرض عجلتون[٣] وجرت سيامته بحضور المطران جبرائيل البلوزاني والمطران جرجس حبقوق البشعلاني الذي كان مستقرًا في يدر ريفون والمطران بطرس مخلوف والمطران يوسف شمعون الحصروني والشيخ ابي قنصوه وشعب أكثر من أن يحصى. وقد قرأنا على كتاب شلطونية نسخها المطران يوسف مبارك المشار إليه[٤] خبر تسقيفه بخط يده وفيه يقول: "وكان حاضرًا [...] قدسه الشريف (المطارين الذين ذكرناهم آنفًا)... وثلاثة عشر كاهنًا وشدائقة وشمامسة وشعب كثير [...] مع حضرة الشيخ ابي قنصوه الذي عمر لنا هذا الدير المعمور مار سركيس ريفون في بلاد كسروان التي نحن قاطنون به مع والدنا القس سليمان ابن الشدياق سمعان بن مبارك وخالنا الخوري يوسف وأخينا القس سركيس وابن خالنا القس اندراوس وأخينا الشدياق جبرائيل[٥] وأولاد خالنا الخوري عون (نجيم) وأخيه القس مخائيل وباقي الرهبان الساكنين معنا في هذا الدير المعمور. الله يحفظنا واياهم من فخاخ الشيطان." ا هـ .

إلا أن البطريرك لم يلبث طويلاً في كسروان لعدم الاتفاق بين مشائخ هذه الناحية. فقام في اليوم التاسع والعشرين من شهر آب تذكار قطع رأس يوحنا المعمدان وتوجه نحو الأمير أحمد المعني

---

[١] راجع رحلة دلاروك ص ٤٤ و٤٥.
[٢] وهو من رفاق الدويهي في رومة وقد سبق ذكره.
[٣] هكذا يعرفه المعاصرون.
[٤] وهذا الكتاب محفوظ في خزانة الكرسي البطريركي.
[٥] صار أسقفًا في أوائل القرن الثامن عشر.

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Enden-Zghorta

حاكم الشوف إلى قصبة دير القمر مقر الحكام المعنيين. واستأجر البطريرك من الأمير المذكور قرية مجدل معوش. وكان في القديم سكان هذه القرية والقرى التي بجوارها من المسلمين فوقعت بينهم الفتن وكثر القتلى إلى أن جمع رأيهم على بيع القرية والخروج منها فاشتراها المير علي ابن الأمير فخر الدين باثني عشر الفًا وسلمها للنصارى (١٦٠٩) ولما بلغ البطريرك يوحنا مخلوف الإهدني حلم الأمير المذكور وتقدم بعض الموارنة المقيدين في خدمته بادر إليه في السنة المشار إليها وسكن مجدل معوش وبنى فيها كنيسة ودارًا. فاقتفى الدويهي آثاره وأقام في القرية المذكورة سنتين. وعطر تلك الناحية بعرف فضائله وأنارها بأشعة حكمته وصنع الله على يده بعض معجزات سنذكرها في باب آخر ان وفق الله. وحسبنا الآن أن نقول أنه كان يدخل العمران في الماكن التي كان يقدم إليها. ففي مدة إقامته في مجدل معوش جدد كنيسة السيدة التي إلى غربي القرية وما زالت باقية إلى يومنا وبنى مسكنًا له ولمن تبعه[٦]. وشمل نظره أبناء الطائفة الموجودين في تلك الجهات بحالة الذل والفقر وعززهم وعلمهم بأمثاله الصبر والنشاط والجد وكل الفضائل البشرية مقرونة بخوف الله. ولما كان يعلم أن الأديار الرهبانية يجد الشعب في جوارها الانس والأمن استهمّ الشيخ أبا صابر من ريشميا[٧] بتتميم بناء الدير الذي شرع في تشييده في القرية المذكورة وهو أقدم دير في تلك الناحية وكانت ريشميا ولا تزال إلى اليوم من أهم القرى المارونية فرقى لهما على كنيسة مار قرياقس برادطة وقسوسًا تعزيزًا لسكانها تجاه الأمم الغريبة.

وبعد أن صرف نحو ثلاث سنوات في مجدل معوش قدم إليه من الجبة بكتابات من آل حمادة إلى الأمير يقدمون بها للبطريرك الخضوع التام ويعدونه بالقيام بما يطلبه منهم لا يعودون يخلفون بشروطهم معه ولا ينكثون العهود. فرجع واياهم وكانت عودته في أواسط سنة ١٦٠٦. وبمروره في كسروان أمر بترميم كنيسة مار عبدا على نهر الكلب وتبعها لدير مار شليطا من.

وفي السنة المذكورة ١٦٨٥ جرى في رومة العظمى احتفال باهر لمرور المائة سنة على مدرستنا المارونية. وليس من يجهل ان السعيد الذكر البابا غريغوريوس الثالث عشر لوافر غيرته على نشر الإيمان الكاثوليكي ومحبته للطائفة المارونية المشتتة في ديار الكفر ما بين الأمم أمر بطاركة الطائفة[٩] أن يرسلوا تلامذة مارونيين إلى أم المدائن ليردوا منهل العلم ويتهذبوا بالسيرة الإكليركية حتى إذا عادوا إلى أوطانهم يجهدوا أنفسهم في سبيل خدمة الله تعالى وخلاص القريب

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[٦] يعرف أنّ موقع هذا المسكن كان في جوار كنيسة السيدة المار ذكرها.
[٧] جد العائلة التي تعرف باسمه إلى الآن.
[٨] وجدت على نسخة كتاب الأسرار للمطران بوسف شمعون نقلها الشدياق يوسف من إهدن (ويلقب ذاته بابن أخ البطرك إسطفان) في أيلول سنة ١٦٨٥ ما حكايته: وكان فراغه (في ٦ أيلول) في مجد المعوش في بلاد الدروز وكانت الضيعة في يد عمي البطرك: أعطاه إياها الأمير أحمد ابن معن ثلاث سنين كل سنة بأربعمائة غرش. وفي نصف شهر آب رجع البطرك إلى الدير المعمور قنوبين... اهـ.
[٩] مخائيل وسركيس الرزي.

وينشروا بين الأمم أنوار العلوم وارج الفضائل المسيحية. فأرسل البطريرك سركيس الرزي عشرة شبان فأمر الحبر الأعظم أن ينزلوا في مدرسة "النيوفيط" أو الحديثين في الدين. ولما كثر عدد تلامذة الموارنة هناك أمر بنقلهم إلى المنزل الذي أقامه في المدينة للزوار وعهد في تدبيرهم إلى الآباء اليسوعيين. ويعد وفاة الحبر المذكور قام البابا سيكسطس الخامس الشهير وعين لهذه المدرسة دخلاً يكفي خمسة عشر طالبًا مع من يلزم للقيام بتدبيرهم وخدمتهم[١٠]. فبعد مرور قرن كامل على تأسيس هذه المدرسة الشهيرة أي يوم عيد القديس يوحنا الإنجيلي شفيعها الحبيب وهو اليوم الثاني بعد الميلاد في ٢٧ كانون الأول سنة ١٦٨٤ زين التلامذة كنيسة المدرسة وهيكل الرسول المشار إليه بالشموع والقناديل الفضية وبسطوا المنسوجات الحريرية ووضعوا على المذبح أيقونات القديسين وذخائرهم[١١]. وكان في ذات الوقت وكيل الطائفة ومحامي المدرسة لدى الكرسي الرسولي الكردينال فرنسيس نرلي الصالح الذكر. وكان سمحًا شديد الغيرة على نجاح المدرسة فأراد أن يتوفر في احتفال هذا العيد كل ما من شأنه أن يزيده رونقًا. وأمر أن تفرش قاعة المدرسة بأقمشة حريرية مرقشة بالذهب وأن تتعلق على جدرانها صور الذين نبغوا من تلامذتها وشرّفوها بالأعمال المبرورة أو نالوا المراتب البيعية ودبروا بيعة الله. فبلغ عدد التلامذة الذين وضعت صورهم على جدران القاعة المذكورة أربعًا وعشرين منهم ثلاثة بطاركة على الكرسي النطاكي وهم إسطفانس الدويهي وجرجس عميرا واندراوس عبد الغال اخيجان أول بطاركة السريان الكاثوليكيين. ثم اثني عشر أسقفًا وهم سركيس الرزي من بقوفا[١٢]. وموسى العنيسي من العاقورا. ويوحنا الدومينيكاني من حصرون ويوحنا من بيت صندوق من حصرون أيضًا. واسحاق من قرية شدرا ومخائيل بن شمعون من حصرون وسركيس الجبري من إهدن وبطرس مخلوف من غسطا. ولوقا القبرسي من قربصيا. وبطرس بن اميه من إهدن. ويوسف نعمه من حصرون ومخائيل بن الصهيوني من إهدن[١٣]. ثم وضعوا أيضًا رسم تسعة تلامذة آخرين من الذين اشتهروا بالفضيلة والتبشير وهم ابرهيم بن جرجس البشراني الذي مات شهيدًا في بلاد الحبش[١٤] والخوري يوحنا بن عواد من حصرون. والقس بطرس المطوشي الذي ترهب في الجمعية اليسوعية والقس

https://patriarchdouaihy.com/Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[١٠] تاريخ الطائفة المطبوع ص ١٨٠.

[١١] وكان بين الصور المعروضة صورة يوحنا المعمدان في البرية عمل يد رافائيل الشهير اتصلت إلى المدرسة مع متروكات الكردينال كرافا. ولم نعثر على ذكرها بعد هذا التاريخ ونرجح أنّها اليوم في متحف فلورنسا.

[١٢] قرية تجاه إهدن دمرها أهالي إهدن بسبب اتباع أهلها ضلال اليعاقبة.

[١٣] هذا بدلاً من جرجس الكرمسداني الذي وضعت صورته في الكراسة المطبوعة. لأنّ جرجس الكرمسداني الذي جمع المعجم الشهير باسمه كان تلميذ رومة غير أنّه لم يقتبل الأسقفية. والمطران جرجس الكرمسداني غيره ولم يدخل رومة قط حياته كلّها.

[١٤] هو ابرهيم جرجس ولد في حلب من عائلة مارونية لبنانية وتربّى بخوف الله وأرسل إلى المدرسة المارونية في رومة فامتاز بنجابته وتقواه. ثمّ دخل الرهبنة اليسوعية وكان رفيق القديس لويس غنزانا وصديقه. وبعد أن نذر النذور الرهبانية ذهب إلى كلية كويمبر (في البرتوغال) سنة ١٥٩٢. ثمّ عاد إلى رومة طالبًا السفر مع المرسلين إلى الهند وبإذن الرئيس العام الأب كلوديوس اكوافيفا سافر في السنة المذكورة وأتى مصوع فقبله ببشاشة حاكم البلاد وكان اسمه ظافر. ثمّ بعد ثلاثة أشهر دخل بلاد الحبشة للتبشير بالإنجيل لكنه اضطر أن يرجع إلى مصوع لما عرف مسيحيًا فطلب إليه الحاكم أن يجحد الإيمان الكاثوليكي فأبى وقاسى بنشاط عذابات مرة وضرب عنقه ثلاثًا بالسيف فأسلم الروح داعيًا اسم يسوع المقدس.

وعنه يقول ناظم زجلية تلاميذ رومة:

قسيس ابراهيم الحلبي، تبع الشهداء بالدربي، من رهبان يسوع ربي، تشهد في بلاد هندية. طالب منه الشفاعة، لضعفي أيضًا وللجماعة، الذين يمشون بالطاعة، بحب العذرا النقية.

نصرالله ابن شلق العاقوري الذي أسس للطائفة مدرسة في روّانا من أعمال إيطالية. والقس جبرائيل الصهيوني الإهدني[١٥] والمعلم ابرهيم الحاقلاني الشهير. والقس سمعان بن هارون التولاوي والخوري مخائيل صابونا الحصروني. والشدياق فيلبس موسى البشراني.

وقرأ التلامذة بلغات مختلفة تقاريظ شتى مدحوا فيها مكارم البابا انكنتيوس الحادي عشر الذي أنقذ المطران بطرس مخلوف ورفاقه من عبودية القرصان. وذكروا فيها مآثر البابا غريغوريوس الثلاث عشر مؤسس المدرسة وأدّوا فروض الشكر والثناء للكردينال نرلي الذي زين باريحيته ذلك المحفل وأذاعوا فضل الكردينال كرافا ومبراته لأنه سعى بإقامة المدرسة ووقف عليها جميع متخلفاته. ونشروا مناقب التلامذة الأربعة والعشرين الذين تقدم ذكرهم ومدحوا اجتهادهم في التبشير والتعليم ونشر الإيمان الحق.

وحضر المحفل خمسة كرادلة مع أساقفة ومطارنة وعلماء وشعب لا يحصى. والكردينال نرلي كلل صنيعه بطبع كراسة صغيرة أودعها الثناء الطيب على ثبات الطائفة المارونية في افيمان الصحيح ودوام اتحادها مع الكنيسة الكاثوليكية. ومدح فضائل البار يوحنا الرسول الشاولوغس شفيع المدرسة وذكر إحسان الأحبار الرومانيين والكرادلة على المدرسة وألحق ذلك بمديح التلامذة السابق ذكرهم وعني بحفظ صورهم على سفاتيها لتخليد ذكرهم في الأحقاب[١٦].

هذا بالاختصار وصف تلك الحفلة وما جرى فيها مما يستحق الخلود الذكر. وقد أمر الكردينال نرلي أن ترسم صورة الدويهي في صدر الكراسة التي طبعها تكريما لتلامذة المدرسة ونشرًا لفضائلهم ومبراتهم. ووضع تحت رسمه الكريم تقريظًا لاتيني العبارة ولذا التقريظ ترجمة سريانية أو ربما هي الأصل حفظها البطريرك سمعان عواد في سيرة بطريركنا المغبوط: وإليك مؤداها:

"ليس من مديح يوفي هذا الحبر حقه لأنه يفوق كل ثناء. رقي إلى الملك فوجد أعلى من هذا المقام واجتهد في أن يفوق ما سواه لا بالعظمة بل بالصلاح والفضل. كتب تواريخ أمته ووطنه وطقوسهما فاستحق بذلك المدحة. فلتذع إذن مناقبه ليس الجيال الحاضرة وحدها بل العصار السالفة والمستقبلة أيضًا. سار سيرة رهبانية. وكان يتفرغ لشأن نفسه ولخدمة الله كمن ليس له رعية يهتم بتدبيرها. وكان يهتم بالآخرين كمن ليس له انشغال بذاته وبالله. وكان يسعى في أن يغني غيره. يا لها من ديار سعيدة أخذت الجزية من رئيسها بدلاً من أن تدفعها لولي أمرها".

https://patriarchdouaihy.com/Maronite Patriarchal Eparchy Enders-Zghartа

[١٥] تعين ترجمانًا عند ملك فرنسا لويس الثالث عشر.
[١٦] عن تاريخ تلامذة رومة للدويهي.

لم تكن تقلبات تقلبات الأحوال والعناية بالمدرسة الرومانية لتستغرق قوى البرطيرك إسطفان أو تشغله عن تدبير رعيته. كما انه لم ينسَ حياته كلها أولئك الأبناء الروحيين الذين تركهم في مدينة حلب بعد أن غذاهم بلبان التعاليم الإنجيلية وجعلهم قدوةً لسائر الطوائف بل أراد أن يبث فيهم روح العلم لتنتشر بواسطتهم المعارف في هذه البلاد المشرقية لأن الحلبيين كانوا دون سائر النصارى يفقهون باللغة العربية لاسائدة في هذه الاصقاع وعنهم أخذ الجميع. فنظر في أن تكون هذه اللغة آلة لنشر العلم واختار لهم معلمًا من تلامذة المدرسة الرومانية كاهنًا في عنفوان العمر ماهرًا في العلوم الفلسفية والإلهية العلامة الغيور والجهبذ المفضال الخوري بطري ابن عبد الله من بيت زيتو من تولا (البترون) وبطرس هذا كان أرسله البطريرك جرجس البسبعلي إلى مدرسة رومة مع الراهب فرا بطرس من رهلان القدس وكان ابن أحد عشر سنة. وبعد أن نال شهادة الملافنة عاد على سوريا مع المطران بطرس مخلوف سنة ١٦٨٢. ثم اقتبل درجة القسوسية على مذبح سيدة قنوبين من يد البطريرك إسطفان في اليوم الثامن من أيلول من السنة المار ذكرها وتقيد في خدمة الكرسي البطريركي فعلم خبره الدويهي ورأى ما كان عليه من رسوخ القدم في العلم والتقى أرسله إلى حلب سنة ١٦٨٥ واعطاه معلمًا فأجاد وطارت سمعته في كل البلاد وأدخل في المدينة المذكورة عبادة المسبحة الوردية التي يقولها المسيحيون إكرامًا لأم الإله المجيدة عوضًا عن المزامير المائة والخمسين التي كان يقولها الجدا كل في الإيمان. وسنة ١٦٩٨ قدمه المطران جبرائيل البلوزاني مطران حلب على كهنة الشهباء وكان مديوطًا ورئيسًا عليهم فضاعفت فيه الوظيفة العناية بأمر الكنيسة والاهاتمام بشؤون الشعب فعلم الشبان وتلمذ كثيرين شهرتهم تغني عن تعدادهم وترك لتلاميذه بل للطائفة وللشرق جميعه تآليف نفيسة في المنطق والطبيعيات والإلهيات والغرامطيق السرياني والمواعظ[١٧] والتأملات الروحية وذكر فضائل غراء وافضال لا يمحوها كرور الأيام.

وأتى التولاوي إلى لبنان سنة ١٧٠١ وأخذ معه إلى حلب القس ابرهيم الغزيري. وتوفي التولاوي سنة ١٧٤٥ بعد أن ردّ كثيرين إلى حظيرة الإيمان الكاثوليكي وثبت المؤمنين في الحقائق الوطيدة.

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Exarchy Ehden Zgharta

[١٧] عثرت عند الخواجا فارس طنوس من جران (بلاد البترون) على كتاب مواعظ غير مكملة وليس عليه اسم المؤلف إلاّ إني استهديت من بعض تلميحات إلى حقيقة نسبته للتولاوي.

وفي أثناء إقامته في حلب خاصمه بعض المرسلين بسبب تصرفه مع الطوائف فدافع بحكمة وجرأة عن حقوق رؤساء الطائفة المارونية وكهنتها ورفع الأمر إلى رومية فاستصوبت تصرفاته وردعت ايًا كان عن معارضته ومعارضة كهنة الموارنة[١٨].

ومن الحوادث التي يليق ذكرها باختصار قدوم الافرنسي دلاروك إلى لبنان وقد تكلم مطولاً في كتاب سفرته عن الموارنة وأصلهم وتاريخهم وعن رؤسائهم وعن البطريرك إسطفانس خصوصًا.

وسنة ١٦٩٩ أرسل الملك لويس الرابع عشر قنصلاً يمثله في القدس الشريف وهو على ما نظن أول ممثل لهذا الدولة في المدينة المقدسة وكان الذي تولى هذا المنصب المسيو دي برامند[١٩].

ولم يذكر المؤرخون فرار البطريرك إسطفان إلى كسروان سنة ١٦٩٥ هربًا من جور حكام الجبة وقد وجدت إشارة إلى ذلك في دفتر حسابات الكرسي حيث يرقم عشور مزارع كسروان وقبرس على يد المطران بطرس ابن مخلوف الذي كان رفيقه. وفي كتابات ملك فرنسا لويس الرابع عشر التي سوف نذكرها.

وفي تلك الآونة أي في أواخر عام ١٦٩٥ التقى البطريرك إسطفان المطران بطرس مخلوف الغسطاوي إلى رومة وتوجه مع المطران المذكور يوحنا المرمغون الماروني. ويوحنا هذا مجهول النسب وقد روي استنادًا على صك قديم ان مرمغون كان من قرية مشمش وعلمت انه يوجد حتى الآن في هذه القرية محل يعرف بخربة مرمغون. ومهما كان من أمر هذا الرجل فإن الشيخ حصن الخازن والمطران بطرس المذكور كلفاه الذهاب إلى فرنسة لطلب القنصلية من ملكها للشيخ حصرونالمرقوم بموجب كتابات تاريخها كانون الأول سنة ١٦٩٥. فاستجاب الملك طلبهما بكتابات رسمية (١٢ حزيران ١٦٩٧) رغمًا عن الأمر الذي كان أصدره في ١١ آذار ١٦٨٥ بإبعاد الأجانب عن مثل هذه الوظائف. وأمر أن تفصل قنصلية بيروت عن قنصلية صيدا التي كانت تتبعها. وبتاريخ ٣ تموز سنة ١٦٩٧ وجه الملك المذكور كتابصا للشيخ ناصيف الخازن يخبره به أنه استهم سفيره في الاستانة لمساعدة المذكور كتابًا للشيخ ناصيف الخازن يخبره به انه استهم سفيره في الاستانة لمساعدة المذكور لئلا يلحق به ضرر من الأمير ابن عالم الدين اليمني الذي كان استولى على الحكم بعد الأمير أحمد المعني. وبالتاريخ عينه أنفذ الوزير دي طرسي

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[١٨] راجع رسالة الخوري إسطفان ورد وقد نشرها الخوري ميخائيل غبرئيل الشبابي في تاريخه للكنيسة المارونية ص ٨٤٣ – راجع المقالة النفيسة التي نشرها القس جرجس منش في المشرق ١ أيلول سنة ١٩٠٣ ص ٧٦٩ وما يليها.

[١٩] M. de Brémond

كتابة أخرى للشيخ ناصيف يعده بها المساعدة طبقًا لإرادة الملك وأوامره. ثم ان الملك كتب للمطران بطرس مخلوف يخبره بتعيين الشيخ حصن في قنصلية بيروت وكذلك الوزير دي طرسي كتب له في الموضوع المنوه به والتاريخ المذكور (٣ تموز ١٦٩٧). وأصدر الملك والوزير أوامرهما بهذا الصدد للسفير دي كستنيار. وبتاريخ ١٦ تموز من السنة المرقومة قبل يوحنا مرمغون في عد فرسانم سيدة الكرمل والقديس لعازر[٢٠]. ثم ان يوحنا مرمغون المذكور في عودته إلى الشرق مر على ادرنه حيث كان الباب العالي وتشكى من ظلم بعض الحكام على دير قنوبين ورئيسه البطريرك إسطفان ونال أمرًا شريفًا بمنع كل تعدي عن الدير المذكور وعلى البطرك والرهبان وقد أوردنا صورة هذا الأمر في فصل آخر.

ولما توجه البطريرك إلى كسروان تبعه كثيرون من أهل الجبة مستغيثين من ظلم حكام مقاطعتهم بحلم وإنصاف المراء المعنيين فاضطربت البلاد ودليل ذلك ما كتبه ارسلان باشا أولاً بتاريخ ١٣ شوال ١١٠٧ إلى البطريرك وبهذه الكتابة يطلب إليه أن يرجع إلى كرسيه مع الرعايا الذين توجهوا معه ويتعهد له بمنع كل أذى ودفع كل تعدي من جباة الأموال الأميرية. ثانيًا بتاريخ ٢٥ صفر و٦ شوال ١١٠٩ حيث يخبره باجراء القصاص على الذين تعدوا على دواب الكرسي ويطيب خاطره ويطلب أن يسعى بعمار البلاد وتأمين الأديرة التي تحت ولايته وباستدعاء الذين نزحوا من الجبة ويعده بالخير والعدل والأمان على الرعية. فعاد الدويهي لكننا لا نعلم تاريخ عودته تمامًا.

http://patriarchdouaihy.com/Ehden-Zgharta
Maronite Patriarchal Eparchy

ولما كان البطريرك إسطفان أرسل الخروي الياس شمعون إلى رومة لاجراء مصالح دينية فحمّله كتابة لملك افرنسة رقم آذار سنة ١٧٠٠ يطلب بها التوسط لدى الباب العالي رفع التعديات عن البطريركية والطائفة المارونية وعند وصول كتابه اجابه الملك المرقوم عملاً بما تعرف له الدولة العثمانية من حق المحاماة عن النصارى في المشرق وانفذ إليه الكتابة الاتية:

"أيها السيد الجليل. تناولت من يد الخوري الياس كاتب سركم تحريركم رقم ٢٠ آذار سنة ١٧٠٠. وساءني ما تخبرون بها عما تقاسيه الطائفة المارونية في جبل لبنان وعما كابدتم من المشقات كي تصونوا ذاتكم من الإهانات التي أراد بعض الناس أن يلحقوها بكم. وإني لمستعد دائمًا للمحاماة عن الدين الكاثوليكي الروماني في كل مكان وبالخصوص ضمن حدود بطريركيتكم

[٢٠] عن كتاب رحلة دلاروك – ولدينا عدة كتابات من ملك فرنسا لويس الرابع عشر محفوظة في خزانات الوزارة الخارجية في فرنسا وتاريخها ١٤ آذار سنة ١٧٠١ إحداها للبطرك إسطفان والأخرى للمطران بطرس مخلوف. وثالثة للكولير يوحنا "جوديسي" – Jean Baptiste Judicy كذا ورد اسمه. ويذكر أنّه نسيب المطران بطرس المذكور ومعتمد البطريرك إسطفان والشيخ حصن الخازن الذي كان وقتئذ قنصلاً افرنسيًا على بيروت.

ولذلك سلمت معتمدكم المذكور كتابًا لسفيري في القسطنطنية وجددت له الأوامر السابقة ليبذل وسع الجهد والعناية لدى الباب العالي العثماني لينال منه كل ما يعود إلى خير الدين الكاثوليكي في بلاد الموارنة فتشعرون بمفاعيل حمايتي وبشديد اعتباري لشخصكم ثم أطلب من الرب أن يحفظكم ويصونكم أيها السيد الجليل.

أعطي في مرلي[٢١] في اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٧٠١".

وفي اليوم عينه كتب الملك لسفيره دي فريول كتابة ملتزمة وأمره أن يداول الخوري الياس في ما يراه مفيدًا لاستتباب الأمن والراحة في لبنان[٢٢].

وسنة ١٧٠١ رجع من رومة بطرس بطريرك السريان ومعه خط شريف م السلطان مصطفى بالرجوع إلى كرسيه وبعد ما عاد إلى مقره أثار عليه عدو الخير البعض من جماعة اليعاقبة ورفعوا فيه شكوى زورية إلى شيخ الإسلام فصدر أمر بنفيه من حلب مع المطران رزق الله وستة من الكهنة وغيرهم من الكاثوليكيين وقد حلوا في الخريف إلى ادنه وبعد وصولهم إليها بأيام قليلة توفي المطران رزق الله من مشقة الطريق ومن الإهانات التي لحقته ثم بعده توفي البطريرك. وكذلك صدر أمر في السنة عينها بهدم حارة الكنيسة وكنيستهم في بغداد ودكوا إلى الأرض حارة رهبان القدس في دمياط ثم ان حاكم قبرس قبض على بعض الموارنة وغرمهم بدفع ٤٢٠ قرشًا. وفي السنة التابعة صدر أمر بقصاص الذين يقتبلون دين البابا وصار تفتيش في حلب عن كل من يتبعهم وتكلف الموارنة في الشهباء خسائر كبيرة كل ذلك من حسد بعض أعدائهم ووشاياتهم الافكية. فسبحان الذي جعلهم حسب قوله الكريم خرافًا بين ذئاب في كل الأماكن والأزمنة.

https://patriarchdouaihy.com/Chdeir-Zgharta
Maronite Patriarchate Patriarchy Chdeir-Zgharta

[٢١] مرلي بلدة غير بعيدة عن باريس على ضفة نهر السين وكان فيها قصر شاعق دمره رجال الثورة وبقربها مدينة وقصر سان جرمان S. Germain en Laye

[٢٢] نقلاً عن رحلة دلاروك – لا نرى حاجة لذكر الحادثة التي جرت في طرابلس للشيخ أبي يوسف رزق البشعلاني وكيف سلبت أمواله وأرزاقه لأجل محافظته على دين أجداده فاضطر أن يهجر البلاد ويذهب إلى أوربا طلبًا للأمن والرزق ولدينا كتابات شتى بهذا الصدد اكتفينا بالإشارة إليها.